التغلغل الفرنسي في الصين حتى عام 1856

الباحث الأول: رؤى خالد منسي

الباحث الثاني: أ.د. علاء طه ياسين

جامعة سامراء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص:

عدّت الصين مركزًا مهمًا بين دول قارة آسيا؛ لتمتعها بعدّة مزايا منها الموقع الجغرافي والمواد الأولية والمساحات الشاسعة وتمتعها كذلك بالثروات البشرية من اليد العاملة مما دعا الدول الاستعمارية الى أن تسعى لكسر عزلة الصين والتوغل خلالها للاستفادة من تلك المزايا ولاسيما في تجارة الافيون .

تنافست الدول الاستعمارية للحصول على موطئ قدم في الصين فكان لبريطانيا سبق الحصول على ذلك بالاتجار بالافيون ومن ثم خوضها حرب الافيون الأولى وحصولها على عدة امتيازات مما شجع فرنسا للحصول على امتيازات مماثلة .

الكلمات المفتاحية: حرب الافيون الأولى، وامبوا، نانكنغ، التايبيغ.

French Penetration into China up to 1856

Roaa Khaled Mansi
Prof. Dr. Alaa Taha Yassin
Samarra University/ College of Education for Human Sciences

Abstract:

China was considered an important center among the countries of the Asian continent due to its numerous advantages, including its geographical location, raw materials, vast areas, and human resources. This prompted colonial powers to seek to break China's isolation and penetrate it to benefit from these advantages, particularly in the opium trade.

Colonial powers competed to gain a foothold in China. Britain had the advantage of gaining this through the opium trade, then entered the First Opium War and obtained numerous concessions. This encouraged France, which sought similar concessions.

Keywords: First Opium War, Whampoa, Nanking, Taiping.

المقدمة:

حظيت قارة آسيا بشكل عام والصين بشكل خاص باهتمام الدول الاستعمارية التي طرقت أبوابها منذ عهود قديمة دفعها الموقع الجغرافي للصين والضعف العام الذي تعاني منه الصين في المسائل العسكرية والموانئ المواد الأولية، فضلًا عن أهميتها بكونها تعد اسواقًا مثالية لبضائع الدول الاستعمارية.

ومن اهم تلك الدول بعد بريطانيا هي فرنسا التي حرصت على الحصول على امتيازات مماثلة كتلك التي حصلت عليها بريطانيا، لذا حرصت فرنسا على استغلال الفرص للحصول على تلك الامتيازات، وتمثل ذلك بإرسال المبشرين الفرنسيين وعقدها لمعاهدات ومنها معاهدة وامبو ومحاولة التوغل في المناطق الداخلية في الصين، فضلًا عن ممارستها لأنشطة متعددة ومشاركتها في الاحداث السياسية التي عصفت بالصين مثل: الثورات وغيرها، مثل: ثورة التايبيغ في الصين.

قسم البحث على مقدمة واربعة محاور وخاتمة وفيها الاستنتاجات التي توصل اليها الباحثان، تناول المحور الأول منه: **مدخل تاريخي جغرافي** ، والمحور الثاني :**أوضاع الصين الداخلية بعد حرب الأفيون الأولى 1839-1842**، أما المحور الثالث فدرس: **المعاهدة الفرنسية – الصينية 1844: فيما تضمن المحور الرابع ثورة التايبيغ في الصين 1850-1853 والموقف الفرنسي منها .**

أولًا: مدخل تاريخي جغرافي :

تقع الصين في الجزء الشرقي من قارة آسيا، ولها حدود مشتركة من الشمال مع روسيا ومنغوليا الداخلية، ومن الجنوب مع كمبوديا ولاوس وفيتنام والنيبال، ومن الشرق كوريا الشمالية، ومن الغرب الهند وباكستان وأفغانستان(قوانغ، 1987، ص2-3).

تبلغ مساحة الصين (9.6) مليون كيلومتر مربع وتساوي في مساحتها أوربا تقريبًا، وتعد من اكبر دول العالم مساحة. وتطل على البحار والمحيطات، ولها سواحل طويلة تصل الى أكثر من (18000) كيلومتر. وتمتاز ايضًا بالتنوع في مناخها، ففي الوقت الذي يسود فيه الشتاء في شمال الصين، يكون فصل الصيف في جنوبها، وقد أعطى هذا التباين في ظروف المناخ تنوعًا في المحاصيل الزراعية مثل: (الرز ، والقمح ، والشعير ، والشاي ، والعدس)، فضلًا عن الأشجار ولاسيما التوت والمطاط، وتعد أشجار اللاركس الذهبي والسرو الصيني من الأشجار النادرة في العالم، كذلك أعطى التنوع الكبير في مظاهر السطح للصين

خصوصية أخرى، فالتضاريس معقدة ومختلفة الأشكال وتحتل مساحتها ثلثي المساحة الإجمالية للبلاد كلها، مثل: جبال الهملايا التي تقع في جنوبها وتعد أعلى الجبال في العالم(الشريفي، 2009، ص10).

تعد الصين أكبر دولة في العالم من جهة السكان. وقد اختلفت الآراء في تحديد أصلهم، فالجنس المغولي الحالي مزيج بين السلالة الأصلية البدائية والسلالات الغازية والمهاجرة من منغوليا وجنوبي روسيا ووسط آسيا. وتعرف العناصر الصينية المحلية الأصلية بالهان. ثم توالت الهجرات المغولية، ولاسيما التتار، في القرن الثالث عشر للميلاد، والمانشو في القرن السابع عشر للميلاد. ثم اندمجت هذه الموجات مع السكان الأصليين. فالشعب الصيني يتكون من خمس مجموعات بشرية كبرى وهي كل من: مجموعة الهان، والمانشو، والمغول، ومجموعة التبت، والمسلمين، فضلًا عن الكوريين في الشمال، والشان في الجنوب.

يمتاز المجتمع الصيني بالتنوع الواسع من جهة القوميات واللغات والعقائد والأديان، فتصل القوميات إلى (56) قومية، أكبرها الهان التي تشكل نسبة (91.5%) من إجمالي عدد السكان، في حين تشكل القوميات الأخرى نسبة (8.5%). ويجري الأمر نفسه على اللغات، إذ تضم الصين عدة لغات، لكن اللغة الرسمية المستعملة في البلاد هي لغة قومية الهان(جمعة، 2012، ص11-12).

أما العقائد والأديان فانتشرت وتنوعت؛ نظرًا لامتدادها الشاسع وكون شعبها يضم 56 قومية تأتي في مقدمتها الكونفوشيوسية؛ نسبة إلى كونفوشيوس((Confucius)، وهو احد الفلاسفة الصينيين ويعني اسمه السيد او الرئيس او المعلم، وتقوم فلسفته على الفلسفة المادية، أي: عدم الاهتمام بالروح وتؤكد على الظواهر الطبيعية واحترام الأسرة وتقديس أرواح الأجداد، ثم التاوية التي تنسب إلى الحكيم الصيني لاو تزو (Lao Tzu) المؤسس الحقيقي لهذه الفلسفة، فضلًا عن البوذية التي جاءت من الهند عبر التجار الصينيين، وتوجه الرهبان البوذيون الى الصين المنسوبة إلى بوذا عام 65م. ولم تكن الديانات السماوية بعيدة التأثير في المجتمع الصيني، ولاسيما المسيحية والإسلام. ففيما يخص المسيحية، تشير الدلائل إلى إنها دخلت الصين عام 635م، على يد الراهب روبين الذي قام بترجمة الكتب الدينية التي يحملها إلى اللغة الصينية (سلطان، 2013، ص 23).

تمتعت الصين بحكم موقعها الجغرافي بعزلة طبيعية عن العالم الخارجي فهي محاطة بأكبر المحيطات وأعلى السلاسل الجبلية واوسع الصحارى في العالم، ومع ازدياد توجه الدول الغربية نحوها في القرن الثامن عشر تعززت العزلة الطبيعية بعزلة ذات قرار سياسي، ففي عام 1757 أصدرت الحكومة الإمبراطورية مرسومًا امبراطوريًا قضى بحصر التعامل مع التجار الأجانب عبر ميناء كانتون الذي أصبح الميناء الصيني الوحيد المفتوح أمام التجارة الخارجية حتى عام 1842، وفي مناسبات أخرى أعلنت الحكومة الصينية رفضها استقبال أي بعثات دبلوماسية أجنبية (العبودي، 2015، ص1).

ثانيًا : أوضاع الصين الداخلية بعد حرب الأفيون الأولى 1839-1842

منذ مطلع القرن السادس عشر سعى الفرنسيون الى دخول حلبة المنافسة الآسيوية مع الدول الاستعمارية الاوربية الأخرى بعد أن أدركوا أهمية التجارة مع اسيا، ففي عام 1601 حاولت فرنسا في عهد الملك هنري الرابع تأسيس شركة الهند الفرنسية الشرقية، إلا أن انشغالها بالتطورات على المسرح الأوربي ثم بحروب الفروند الداخلية التي شكلت تهديدًا خطيرًا للملكية الفرنسية حال دون استمراراها بشؤون اسيا حتى تولى كولبير شؤون الدولة فيها، الذي كان متحمسًا لتكوين صرح عظيم لفرنسا البحرية، وبمبادرة منه تأسست شركة الهند الشرقية الفرنسية عام 1664 إذ أولى كولبير أهمية كبيرة بتلك الشركة فزودها بقرض مالي وضمان حكومي، وفي عام 1666 حصل ممثلو الشركة من إمبراطور المغول أورنكزيب على فرمان سمح لهم بإقامة وكالة تجارية في سوالي، فضلًا عن ممارسة التجارة في المناطق المجاورة لها بالشروط نفسها التي منحت للهولنديين والانكليز، وفي العام التالي أقام الفرنسيون مستعمرة لهم في بونديشيري وبنوا فيها حصن سان لوي، وتمكنوا من إقامة وكالات تجارية في ماسولیباتام ثم في كل من تشندرناغور على ساحل الهند الشرقي وفي ماهي عام 1721 على ساحلها الغربي وجرى تحصينها عام 1724(كعدان، د.ت، ص63)

وفي عام 1739 اقام الفرنسيون وكالة تجارية لهم في كاريكال على ساحل الهند الشرقي، وكان لشركة الهند الشرقية الفرنسية مجلس إدارة يتكون أعضاؤه من بعض كبار حملة الأسهم فيها وتخضع أعمالها لمراقبة مفتشين ماليين (كعدان، د.ت، ص63).

سعت الدول الأوربية الى الحصول على موطئ قدم لها في الصين، إلَّا أنها واجهت صعوبات جمة تمثلت بتعالي أباطرة الصين على الأَجانب الذين كانوا يطالبونهم بالخضوع والولاء لهم بما يعرف بمراسيم "الكوتاو" Qutaway (الكوتاو: وهي مراسيم السجود والخضوع والولاء للإمبراطور، وذلك تقليد اصر عليه الصينيون في تعاملهم مع الحكومات الغربية التي كانت بحاجة للإتجار معهم لفرض نوع من الهيبة على انفسهم، وكان الدبلوماسيون والتجار الغرب يطالبون بإداء تلك المراسيم وذلك ما رفضه التجار والدبلوماسيون وهي تدل على قدسية الامبراطور الصيني، فضلًا عن رفض الصين الاعتراف بالدول الغربية بصورة قاطعة) ؛ لأن الدول الاوربية تعترف بالمساواة بين الدول تطبيقًا لأحكام القانون الدولي العام فكان من الطبيعي أن يرفض الدول الغربيون مثل: فرنسا وبريطانيا السجود للإمبراطور الصيني (Dillon, 1995, P.97)، فضلًا عن وجود حكومة مركزية قوية على رأسها الإمبراطور الذي كانت له الهيمنة الكاملة على جميع أنحاء البلاد، لذا لم تكن مهمة الاجانب في إيجاد موطئ قدم لهم في الصين بالمهمة السهلة؛ لما يناقض نظرة الصينيين لكل مَنْ يسكن خارج حدودهم ووصفهم اياهم بالبرابرة، فضلًا عن

مطالبة أَباطرة الصين السفراء والممثلين الأجانب بأَداء مراسيم الكوتاو أمام الامبراطور ورفض الأجانب تطبيق ذلك الامر (أندرسون، 1996، ص373).

انتشرت عادة تدخين الأفيون في الصين منذ القرن السابع عشر وأصبحت سائدة بين الفئات المترفة ولاسيما في أوقات الفراغ، وأدى الطلب المتزايد عليهِ الى زيادة واردات الصين منه وزراعته في الصين، وفي عام 1729 حرمت الحكومة الصينية تجارة وتدخين الأفيون ثم عام 1796 تم تحريم زراعته واستيراده، وفي القرن التاسع عشر اعيد استيرادهُ لاعتبارات اقتصادية، اذ أدت الى تدفق سريع في الفضة في الخارج، وفي عام 1773 تفوق البريطانيون على البرتغاليين في مجال تجارة الافيون منذ احتكار شركة الهند الشرقية البريطانية تجارة الافيون في الهند، وشرعت بتصديره الى الصين، وفي عام 1881 بعثت الشركة اول شحناتها من الأفيون الى الصين (المقرحي، 1997، ص37).

نجحت بريطانيا في الولوج الى الأسواق الصينية بتجارة مادة الافيون، وعدّت سوقًا رائجة لها باستعمالها من قبل الطبقات العليا وأصحاب النفوذ، لذا بدأت بريطانيا اولى نشاطاتها مع الصين عام 1781 حينما وصلت بضائع الافيون الى ميناء كانتون الذي كان استعماله في بادئ الامر للأغراض الطبية، إلا أن ازدياد استيراده ولاسيما بعد احتكار شركة الهند الشرقية الاتجار به أدى الى نتائج خطيرة انعكست على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، فكانت كارثة حقيقية بحق الشعب الصيني، مما دعا الحكومة الصينية عام 1829 الى إصدار مراسيم عدة حرمت الاتجار بالافيون، وعلى الرغم من تلك المراسيم فقد تابع التجار الأوربيون الاتجار به في الصين(Albrecht-Carrie, 1970, p60-61).

وتوعدت باستعمال عقوبات رادعة لكل مَنْ يثبت تعامله مع تجارة الافيون بما في ذلك عقوبة الإعدام " ونتيجة لعدم التزام البريطانيين قامت الحكومة الصينية بحرق مادة الافيون ثم طرد التجار الأجانب، واعتقال وسائطهم الصينيين وإيداعهم السجن (الخضيري، 2010، ص88).

نتج عن تلك القرارات توتر الأجواء بين الحكومة الصينية والتجار البريطانيين، وفي ضوء استمرار أولئك التجار بتهريب الافيون وقيامهم بقتل أحد البحارة الصينيين في السابع من تموز 1839، ورفض البريطانيون تسليم القاتل، أما التدابير التي اتخذتها الحكومة الصينية فقد قامت بتضيق الخناق على التجار البريطانيين، مما أدى بنهاية الامر الى قيام السفن البريطانية بإطلاق النار على السفن الصينية واغراقها، وكان ذلك ايذانًا ببدء حرب الافيون الأولى، وطالب البريطانيون الصين بدفع مبلغ الافيون الذي اتلفته، ومعاملة البريطانيين معاملة لائقة تتفق مع احكام القانون الدولي، وأن تتنازل الصين عن احدى الجزر القريبة لتوفير المزيد من الامن للتجار البريطانيين (كعدان، د.ت، ص107).

واثبتت تلك الحرب كفاءة وقدرة القوات البريطانية التي هاجمت السواحل الصينية فاستولت على مدن كانتون، وشنغهاي ومدن أخرى، وانتهت الحرب باستسلام الصين وتوقيع معاهدة نانكنغNanking في التاسع والعشرين من اب 1842 وكانت اول معاهدة من سلسلة المعاهدات التي عرفت في تاريخ

الصين بالمعاهدات غير المتكافئة وتضمنت تلك المعاهدة خمسة من موانئها وإقامة التجار الأجانب في تلك الموانئ لممارسة أعمالهم التجارية وتعيين قناصل لهم بتلك الموانئ، واستولت بريطانيا كذلك على جزيرة هونغ كونغ ، فتم تخفيض الضرائب المفروضة على البريطانيين الى (5%) وفرضت على الصين غرامة مالية لتغطية نفقات الحرب، وما اتلف من الافيون، والتي بلغت واحدًا وعشرين مليون دولار ، فضلًا عن ذلك حصل البريطانيون عام 1843 بموجب ملحق معاهدة بوغ على حق محاكمة الرعايا البريطانيين امام المحاكم البريطانية وأن تعامل معاملة الدولة الاكثر رعاية، ومنحت الصين الدول الغربية الأخرى كل الامتيازات التي حصلت عليها بريطانيا فيما بعد، أما الأفيون الذي كان السبب المباشر لنشوب الحرب فلم يذكر في أي بند من بنود المعاهدة (كعدان، د.ت، ص108)

اما اهم النتائج المترتبة على تلك المعاهدة فهي (كعدان، د.ت، ص109):

1- القضاء على عزلة الصين واراغمها على ممارسة التجارة مع الدول الأوربية.

2- فتحت تلك المعاهدة الباب أمام الدول الاوربية الأخرى لتوقيع معاهدات مماثلة.

3- شكل السماح للتجار الأجانب بالإقامة في الموانئ الصينية بداية إنشاء إحياء دبلوماسية لا تخضع للسلطة الصينية إنما تشرف عليها وتديرها الجاليات الأجنبية تحت رعاية القناصل الأجانب.

ومن الجدير بالذكر أن مسالة فتح الموانئ امام السفن والتجارة الأجنبية رافقها انشاء مستقرات وقنصليات اجنبية الى جانب الوكالات التجارية وعرفت تلك المستقرات بالامتيازات الإقليمية او مناطق الامتيازات، وبرزت من بين تلك المستقرات تلك التي أقيمت في شنغهاي Shanghai (مدينة شنغهاي: تقع عند مصب نهر اليانغتسي في الساحل الشرقي للصين وتبلغ مساحتها (6.34كم2)، وهي ذات موقع جغرافي مهم جعلها مرفأ تجاريًا للتصدير والاستيراد ومركزًا للاستثمارات الاجنبية) (غربال، د.ت، ج2، ص1096) مناطق الامتيازات التي خضعت في بادئ الامر للسيطرة البريطانية ولم يكن يحق لتجار الدول الأخرى التي تتمتع بالامتياز نفسه انشاء مستقرات فيها إلا بموافقة القنصل البريطاني الذي يرأس المجلس المحلي فيها، مما اثار التجار الفرنسيين وطالبت الحكومة الفرنسية باعتماد شنغهاي مركزًا تجاريًا حرًا وهو الذي حدث فعلًا، إذ اعترفت بريطانيا بشنغهاي مركزًا دوليًا للتجارة العالمية في الرابع عشر من تشرين الثاني 1843 وأصبح يحق للأجانب تأجير الأراضي في مناطق امتيازاتهم على أن تسجل لدى قنصلياتهم واصبح لكل قنصل ممارسة سلطاته القضائية على مواطنيه ضمن مناطق امتيازاتهم ومثّل ذلك الوضع انتهاكًا للسيادة الصينية، إذ إن انشاء تلك المستقرات يعني قيام حكم دولة داخل دولة (العبودي، 2015، ص52).

ثالثًا : المعاهدة الفرنسية – الصينية 1844:

شجعت معاهدة نانكنغ الدول الأوربية ومنها فرنسا على المطالبة بحقوق مماثلة ،

إذ كان لفرنسا ارساليات تبشيرية في الصين ودفعها حصول بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية (سارعت الولايات المتحدة الامريكية بإرسال مبعوثها كالب كشنج الى حكومة الصين للدخول في مفاوضات لعقد معاهدة بين الطرفين على غرار المعاهدة البريطانية الصينية وهدد المبعوث الأمريكي بأن أي رفض لذلك الطلب يعد بمثابة عمل عدائي ضد بلاده ستقابله حكومته بالحرب وتحت التهديد عقدت الحكومة الصينية معاهدة وانجهيا عام 1844، (العبودي، 2015، ص50) على عدد من الامتيازات في الصين إلى المطالبة بامتيازات كالتي تم منحها لبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وتحت الضغط الفرنسي ولعجز الحكومة الصينية عن رفض المطالب الاوربية الأخرى فإنها عقدت مع فرنسا معاهدة وامبو في الرابع والعشرين من تشرين الأول 1844، وحصلت بموجبه على الامتيازات المشابهة لما حصلت عليه بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية، فضلًا عن حقها في التبشير بالمسيحية وحصلت كذلك على حق إقامة الكنائس والاديرة وحماية المبشرين ممن يعتنقون المسيحية من الصينيين واعترفت الصين بموجبها أيضًا بشرعية الكاثوليكية والبروتستانتية في الصين (العبودي، 2015، ص47).

اكتسبت فرنسا المزايا نفسها التي اكتسبتها بريطانيا عدا التعويضات والتنازل عن الأراضي، فضلًا عن أن معاهدة نانكنغ وباقي المعاهدات مثل: المعاهدة مع الولايات المتحدة الامريكية ومع فرنسا أن الصين فقدت حقوقها كدولة صاحبة سيادة وتحولت الى ما يشبه المستعمرة وتحول المجتمع الصيني الى مجتمع شبه اقطاعي، وكذلك اصبح التناقض واضحًا بين الامة الصينية والرأسماليين الأجانب ليصبح تناقضًا رئيسًا (درويش، 2014، ص35).

تميزت المعاهدة الفرنسية الصينية في حرية الارساليات التبشيرية الكاثوليكية وممارسة نشاطها في الصين وإلقاء مسؤولية حمايتها على الفرنسيين، بما في ذلك حماية الصينيين المتنصرين مما وفر لعدد منهم الهروب من المخالفات القانونية عن الاحتماء بالكنائس، فضلًا عن قيام الإرساليات الفرنسية في شراء الأطفال بهدف تنصيرهم واثار ذلك الاجراء استياء الصينيين من ذلك الإمر، ومع أن اعمال الارساليات الفرنسية كانت تصب في خدمة الفرنسيين، إلا أنها كانت ذات أعمال ايجابية على الصين بقيامها بإنشاء المستشفيات والمدارس التي كانت تدرس فيها علوم الطب والرياضيات وغيرها من العلوم التي أسهمت على نحو فعال في تثقيف الصينيين الذين التحقوا بها بالثقافة الغربية وأصبح لهم فيما بعد دور كبير في تأكيد ضرورة ومعالجة تردي أوضاعها الداخلية، ومن جانب اخر اسهم نظام المعاهدات في حدوث تحولات في الاقتصاد الصيني القائم على الاكتفاء الذاتي وبداية تحولات مهمة في بنية المجتمع الصيني، وتجلى ذلك بظهور طبقة الكومبرادور التي كانت اللبنة الأولى للطبقة البرجوازية، وبرزت على نحو واضح معاناة الطبقة الفقيرة في المجتمع التي تأثرت بالتحولات الاقتصادية، ولاسيما على صعيد التجارة الخارجية ومن ثم انسحب الامر على مكانة الأسرة الحاكمة، إذ إن عجزها عن الإيفاء بمتطلبات الشعب وبقائها أجنبية بنظره وفر

مسوغات سحب التفويض السماوي بحسب رأيهم وجعلها هدفًا لكثير من الجمعيات وحركات المعارضة الفلاحية والبرجوازية التي شهدها النصف الثاني من القرن التاسع عشر (العبودي، 2015، ص56-57).

لقد كشفت معاهدة نانكنغ تأخر الحكومة الصينية وضعفها وعجزها عن القيام بحماية البلاد وأشارت إلى بداية مرحلة الامتيازات الأجنبية، وهيأت الصين للتنافس الدولي لعقد سلسلة من المعاهدات غير المتكافئة بينها وبين الدول الاستعمارية الأخرى، ومنها الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا بالامتيازات نفسها تقريبًا التي حصلت عليها بريطانيا، ثم تبع فرنسا في المطالبة بالمساواة في الامتيازات كل من بلجيكا والبرتغال اللتين حصلتا على حق المتاجرة عام 1845 من دون معاهدة، ثم النرويج والسويد اللتين حصلتا على معاهدة في العشرين من آذار عام 1847، على أسس معاهدة "وانجسيا"، ليبدأ"سور الصين العظيم" بالانهيار، وفتح الحكومة الصينية ابواب الصين للأجانب رغمًا عنها، ثم تبع ذلك كل من بلجيكا والسويد والنرويج والبرتغال ومن ثمَّ روسيا وبروسيا وسمحت لهم بالتجارة في الموانئ التي أشارت إليها المعاهدة مع بريطانيا، وأن معاهدات الصين مع الدول الاوربية اكدت على ما يأتي (العبودي، 2006، ص34-35):

1 -على الرغم من أن تلك المعاهدات كانت معقودة بين دولتين، إلا أنها في الواقع فُرضت على الصين فرضًا. فلم يكن لها حق في مناقشتها او رفضها، وهذا ما تضمن إرغامها على التخلي عن فكرة التفوق على الشعوب الاخرى ونعتهم بالبرابرة.

2- أشرت هذه المعاهدات نهاية نظام الكوهونج وسياسة العزلة التي طبقتها حكومة المانشو قرابة قرنيين ونصف القرن، وهي سياسة لم تعد تنسجم وروح العصر، والمصالح الأوربية والامريكية.

3 – استهدفت بريطانيا من هذه الحرب توسيع نطاق التبادل التجاري بفتح موانئ جديدة تمكنها من التوغل بتجارتها الى اعماق الصين، بدليل أن معاهدة نانكج التي وقعت اثر هذه الحرب ضمنت فيها فتح خمسة موانئ جديدة للتجارة الخارجية.

4 – بموجب معاهدة نانكنج، تمكنت بريطانيا من أن تضمن لنفسها، موقعًا متميزًا بحصولها على جزيرة هونغ كونغ، وأن تقدم لتجارها دعمًا كبيرًا ماديا ومعنويًا، بأن ضمّنت هذه المعاهدة بندًا نص على فرض غرامة مالية قدرها ستة ملايين دولار تعويضًا عن الأفيون الذي أحرقته السلطات الصينية. ومن الجدير بالذكر إنَّ بريطانيا أدركت مدى تلهف الدول الأخرى لما ستحصل عليه من امتيازات لكي تطالب بمثلها او ما يزيد عليها، لذا ضمنّت بريطانيا المعاهدة بندًا منحها حق الدولة الأكثر رعاية، أي: إن أي امتياز تحصل عليه الدول الأخرى، ولم تشتمل عليه معاهدة نانكنج، سيكون لبريطانيا الحق في الحصول عليه.

وبذلك أُعيدت املاك الكاثوليك في الصين التي تمت مصادرتها عام 1724 ونتيجة لتلك الامتيازات التي منحت للكاثوليك منحت جميع الديانات الاجنبية نوعًا من التسامح عام 1849 (بين، 2002، ص67).

وعلى الرغم مما حصلت عليه فرنسا من امتيازات في الصين فإنها لم تكن كافية لأطماعها في المنطقة، ولاسيما التنافس الاستعماري هناك، فأخذت تطالب بالحصول على المزيد من تلك الامتيازات، فتقدمت عام 1854 بالاشتراك مع بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية بحق اقامة المستوطنات في مدينة شنغهاي وحق الدخول الى مدينة كانتون Canton (كانتون تقع في جنوب الصين ضمن مقاطعة كوانغوونغ، وتبلغ مساحتها (7,434 كم) وتعد من أهم الموانئ الصينية واصبحت منذ القرن السادس عشر مكانًا لإقامة التجار الأجانب في الصين فتحولت إلى مركزٍ تجاري مهمٍ) (غربال، د.ت، ج ص1436) واخضاع الكمارك والبريد لسيطرتهم، ومن جانب اخر استمرت فرنسا وبريطانيا في الضغط على حكومة بكين لإقامة علاقات دبلوماسية معها؛ لإجبارها على فتح موانئها وأسواقها على نحو اكبر أمام تجارة الدولتين وإتاحة قدرٍ اكبر من الحرية أمام تجارة الافيون ولغرض الاستفادة من العمال الصينيين في أعمالهم التجارية، فضلًا عن منحهم حرية أكبر في نهر اليانغسيYangtze ، وبعد رفض الحكومة الصينية تلك المطالب قررت فرنسا وبريطانيا ارغام الصين على تلبية ما تطلبانه باستعمال القوة لتحقيق مطالبها حينما تسنح الفرصة المناسبة لتنفيذ ذلك الامر (سلطان، 2013، ص66-67).

5 – شكلت هذه المعاهدات اللبنة الاولى لنظام المعاهدات الذي ألقى بظلاله على واقع الأوضاع الداخلية في الصين، لتمتد آثاره الى النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

إنّ هزيمة الصين في حرب الأفيون وما ترتب عليها من معاهدات، دفعتها وشعبها إلى المزيد من المعاناة والآلام، وأدى إلى التناقض الاجتماعي والطبقي بشكل أكبر، وإغراق الصين بالسلع الرأسمالية الغربية مما أدى إلى تدهور وتراجع الصناعات اليدوية في البلاد، إنَّ فتح الموانئ أمام التجارة الأجنبية قضى على الصناعات المحلية، والأنشطة التجارية، والى شيوع البطالة لعدد كبير من العاملين في مجال النقل والشحن، فضلًا عن ضغوط الحكومة الصينية على الشعب لانتزاع أكبر مقدار ممكن من الضرائب منه، وقد اعترف تسنغ كو فانTseng Kuo-Fan وهو موظف كبير في الحكومة الصينية في مذكرته المقدمة إلى الإمبراطور في السابع من شباط 1852 "**بأن الجنود وخدم الحكومة قد أرسلوا لجميع المناطق الصينية، متجولين ليلًا ونهارًا لانتزاع الضرائب من الشعب مستخدمين السياط في ذلك حتى أصابت أجساد دافعيها بالجروح الدامية**" (الخضيري، 2010، ص23)

رابعًا : ثورة التايبيغ في الصين 1850-1853 والموقف الفرنسي منها .

كان من نتائج السياسة التي سارت عليها واتبعتها اسرة المانشو Manso أُسرة المانشو: قبائل مغولية استقرت في شمال الصين استغلت حالة الانقسامات الداخلية التي عمت انحاء البلاد في اواخر حكم اسرة

المينج وبعد أن اتفقت مع عدد من الناقمين على أُسرة المينج، واقامة حكم المانشو 1644–1911، ونشبت ضدها حركات ثورية عديدة بسبب زيادة النفوذ الاجنبي، ولاسيما بعد حربي الافيون الاولى والثانية، وهي آخر سلالة امبراطورية حكمت الصين لحين سقوطها بسبب قيام انتفاضات عديدة شملت مختلف انحاء الصين)(Dillon, 1979, P.31)الحاكمة مع الأجانب وتوقيعها الاتفاقيات والمعاهدات المجحفة بحق الشعب الصيني والاحتكاك مع الغربيين واجتياح المبشرين للبلاد ولّدت سخطًا وشعورًا بالاستياء في جميع انحاء الصين، فضلًا عن حدوث ثورات متعددة اختلفت في شكلها وأهدافها ضد حكومة المانشو الضعيفة، ومن أهمها: ثورة التايبيغ Taiping عام 1850 ، أي: مملكة السلام السماوي بزعامة معلم يدعى هونغ هسيو تشوان Hong Hsiu-chuan ضد حكومة المانشو، الذي حدد أهداف الصورة بالقضاء على حكومة المانشو واقامة حكومة برئاسته واعادة توزيع الثورة وتقسيم الاراضي واتخاذ نانكنغ عاصمة له في جنوب البلاد (سلطان، 2013، ص68).

واعلن عن برنامجه وذلك بتنظيم المملكة وإقامة مؤسساتها العامة فتم تطبيق النظام العسكري بشكل صارم، ومن الناحية الاقتصادية أصدرت المملكة برنامج الإصلاح الزراعي الذي نص على المساواة في زراعة الأراضي والإفادة منها دون تملكها، ومن الناحية الاجتماعية منحت المملكة المساواة لها مع الرجل في جميع المجالات، وبسبب قيام المملكة صارت في الصين مملكتان واحدة في الشمال وعاصمتها بكين والأخرى بالجنوب وعاصمتها ناكن، وذلك لم يكن لتتقبله حكومة المانشو، لذا سعت إلى القضاء على تلك المملكة بالوسائل شتى منذ لحظة اندلاعها، إلا أن التأييد الكبير الذي لقيه التايبغ مكنهم من تحقيق انتصارات كبيرة(سلمان، 2010، ص30–31).

اتبعت فرنسا سياسة الحياد التي اتبعتها بريطانيا تجاه أحداث التايبيغ في الصين؛ لخوفهم من هجوم التايبيغ على رعاياهم، ولاسيما أن نانكنغ تبعد عدة أميال عن شنغهاي، فضلًا عن توقعهم الكبير بأنَّ التايبيغ ستحول الصين الى مملكة مسيحية اكثر ودية مع الأجانب ويسهل توغلهم الى داخل الصين وتوسع تجارتهم على الرغم من فرنسا كانت حامية وراعية للعقيدة الكاثوليكية في الخارج، لم تكن تفضل عقيدة ثوار التايبنغ البروتستانتية، ولكن على الرغم من هذا الاختلاف إلا أن المبعوث الفرنسي بوربولونBourbolone الذي زار العاصمة نانكنغ في كانون الاول 1853 التي وصل اليها في العاشر من كانون الأول من العام نفسه وتم استقباله بشكل رسمي، و أعجب بالنظام والانضباط في مملكة التايبنغ، وفضلًا عن طريقه استقباله ورؤيته مجموعة من الرؤوس المقطوعة لمدخني الافيون المعلقة على اقفاص في الجدران وكذلك اعجب بالطباعة المستمرة لإنجيل موسى الخمسة لاسيما أن اجراء الامتحانات اعتمدت على تلك النصوص الدينية بشكل أساس مع استحالة شراء الملابس والاحذية من السوق بل تمنح حصرًا من ثوار التايبيغ، وفي الرابع من كانون الأول التقى بوربولون مع الجنرال كين ري قانغKin Ri Gang احد جنرالات التايبيغ

والمقرب من الملك السماوي الذي كان يجلس على كرسي على منصة مرتفعة، وأشار الى بوربولون بالجلوس باستخفاف بكرسي اقل انخفاضًا وبعيدًا عنه وطالبه بوربولون فور جلوسه بأن يعترف لفرنسا بالامتيازات التي حصلت عليها من حكومة المانشو، وأوضح عن رغبته بالحصول على ضمانات لرفاهية وحماية الكاثوليك من الصينيين الخاضعين لسيطرة التايبيغ(عبد الباقي، 2023، ص369-370).

لم يقدم بوربولون أي عروض واضحة لعقد معاهدة مع التايبيغ وعدّها دولة بشكل رسمي، إذ أثار ذلك غضب الجنرال كين الذي أشار الى أنَّ جميع المسيحيين محميون من التايبيغ وأضاف قائلًا: " إذا كان الفرنسيون يقدسون حاكم المانشو فلابد أنهم أصدقاؤه وإذا كانوا أصدقاؤه فإنهم يجب أن ينظروا الى التايبيغ بأنهم متمردون وإذا كانوا ينظرون الى التايبيغ أنهم متمردون فإنهم أعداء لهم " وبذلك اعرب التايبيغ عن عدم رغبتهم بإقامة علاقات مع فرنسا(عبد الباقي، 2023، ص369-370).

تبنت فرنسا الموقف البريطاني الذي اكد على الحياد والترقب ولاسيما بعد فشل مندوبها بوربولون لانتزاع اعتراف بالامتيازات الفرنسية في الصين وحقها في حماية مصالح الكاثوليك فباستثناء عدم التعرض للكاثوليك فإن التايبيغ لم يعدوا الفرنسيين بشيء واتبعت الولايات المتحدة الامريكية سياسة فرنسا وبريطانيا التزام الحياد إزاء حركة التايبيغ في الصين (العبودي، 2015، ص49).

رحبت الدول الأوربية في بداية الامر بالحركة؛ كون طابعها العام كان حركة ثورية مسيحية، ومنها فرنسا على امل أن تعترف حركة التايبغ بالامتيازات الأجنبية وتمكنها من التوغل الى المناطق الداخلية في حال تحقيق انتصاراتها، إلا انَّ فرنسا والدول الاوربية الأخرى غيرت موقفها بعد اجراء اتصالاتها مع قادة الحركة الذين اكدوا عدم استعدادهم للاعتراف بالامتيازات التي منحتها حكومة المانشو لهم، فضلًا عن ادعاء هونغ هسيو شوان بأنه زعيم العالم كله فوقفت فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية موقفًا سلبيًا من الثورة ومؤيدًا لحكومة المانشو (العبودي، 2015، ص49).

تمكن الاستعمار الغربي بعد اخماد ثورة التايبيغ وإخضاع المانشو من تقطيع الصين الى مناطق نفوذ له، إذ كان رأس المال الرأسمالي قد أخذ بالنمو وسارعت تلك الدول ومنها فرنسا إلى تصدير رأس مالها الى الصين فأنشأت هي وعدد من تلك الدول التي استقرت استعماريًا في الصين المصارف، فضلًا عن استثمارات ضخمة في الصين فأقامت المصانع واستولت على المال العام وحصلت على امتيازات التعدين وربطت الاقتصاد الصيني بالرأسمال الأوربي (العاني، 2001م، ص20).

قدمت فرنسا، وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية مذكرة الى حكومة المانشو تضمنت مطالبتهم بالمزيد من الامتيازات مقابل وقوفهم على الحياد من حركة التايبغ في حال الاستجابة لمطالبهم، وتمثلت تلك المطالب في فتح الموانئ الداخلية والساحلية للتجارة البريطانية وإلغاء رسوم الترانزيت على البضائع

الاجنبية والسماح للسفراء الاجانب الاقامة في بكين والسماح لهم بالاتصال بكبار المسؤولين الصينيين، ونتيجة لرفض تلك المطالب من قبل سلطة المانشو تحينت بريطانيا لاختيار الوقت المناسب بالاشتراك مع فرنسا؛ لشن حرب ضد الصين لإجبار حكومة المانشو وحكومة التايبغ التي تشكلت في نانكنغ على قبول مطالبها والرضوخ لها ، واعتقدت الحكومة الصينية أنَّ فرنسا وبريطانيا لن يلجأ كلّ منهما لاستعمال القوة مع الصين؛ نظرا لانشغالهما والدولة العثمانية في حرب القرم(قامت حرب القرم بسبب التوسع الروسي في البلقان والشرق الأوسط على حساب فرنسا وبريطانيا، ولاسيما بعد تقدم النفوذ الروسي على حساب الدولة العثمانية واستمرت الحرب للمدة 1853–1856 وانتهت بتوقيع معاهدة باريس، (رونوفان، 1968، ص350)ضد روسيا، وفعلًا انتظرت فرنسا وبريطانيا توافر الفرصة المناسبة للانقضاض على الصين لفرض شروطهما بالقوة (العبودي، 2015، ص23).

الخاتمة :

في نهاية اكمال البحث توصلت الباحثة الى الاستنتاجات الاتية:

1. تمتعت الصين بمميزات جعلتها تكون عرضة للأطماع الاستعمارية ومنها فرنسا.
2. شجعت الامتيازات التي حصلت عليها بريطانيا وفرنسا على محاولة الحصول على امتيازات مماثلة.
3. سعت فرنسا إلى عقد اتفاقيات ومعاهدات مع الصين مستغلة ضعفها العام ولاسيما بعد خسارتها امام بريطانيا بعد معاهدة نانكنغ.
4. عقدت فرنسا معاهدة وامبوا وحصلت على مزايا مشابهة لبريطانيا في الصين وذلك عدّ بداية التوغل الفرنسي في الصين .
5. شاركت فرنسا وفرضت نفسها على الحكومات الصينية المتعاقبة تدفعها ضعف تلك الحكومات وسعي فرنسا لفرض نفسها في المسائل السياسية والاقتصادية للصين .
6. من جانب اخر ازداد توغلها في المناطق الداخلية وشرعت تنشر مبشريها وتجارها ورجالها في عدة انحاء والذين مثلوا ذلك التوغل واصبحوا أداة من أدوات الاستعمار الفرنسي.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أندرسون، مايتو .(1996) .تاريخ القرن الثامن عشر في أوروبا (ترجمة: نور الدين حاطوم، الطبعة الثانية). دمشق.
2. بين، تشستر أ .(2002) .الشرق الأقصى (ترجمة: حسين الحوت). القاهرة: مكتبة مصر للنشر.
3. جمعة، كفاح، والساعدي، وجر .(2012) .التطورات السياسية الداخلية في الصين 1931–1949 (أطروحة دكتوراه غير منشورة). الجامعة المستنصرية، كلية التربية.
4. الخضيري، مثنى عبد الجبار عبود .(2010) .محاولات الإصلاح والتحديث في الصين 1860–1911 (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة بغداد، كلية التربية – ابن رشد.
5. درويش، فوزي .(2014) .العملاق الصيني بين الماضي والحاضر .القاهرة: مكتبة جزيرة الورد.
6. رونوفان، بيبر .(1968) .تاريخ العلاقات الدولية 1815–1914 (ترجمة: جلال يحيى). القاهرة: دار المعارف.
7. سبنسر، كورتيلا .(1968) .اليانغ سي: الطريق الرئيس إلى قلب الصين (ترجمة: مصطفى عبد الهادي). القاهرة.
8. سلطان، طارق فتحي .(2013) .تاريخ الصين والشرق القديم .بيروت: دار الفكر.
9. سلمان، منتهى طالب .(2010) .موجز تاريخ آسيا الحديث والمعاصر .بغداد: دار الفراهيدي للنشر والتوزيع.
10. العاني، نوري عبد الحميد، وآخرون .(2001) .تاريخ آسيا الحديث والمعاصر .بغداد.
11. عبد الباقي، فاطمة علي، والساعدي، كفاح وجر. (2023). موقف الدول الأجنبية من إعلان ثورة التايبينغ 1850–1853 .مجلة إكليل للدراسات الإنسانية، (6).
12. العبودي، نادية كاظم محمد .(2006) .تطور الأوضاع السياسية الداخلية في الصين 1850–1911 (أطروحة دكتوراه غير منشورة). كلية التربية – ابن رشد، جامعة بغداد.
13. العبودي، نادية كاظم محمد .(2015) .حروب الأفيون: من صفحات التدخل الأجنبي في الصين 1839–1895 . بغداد.
14. غربال، محمد شفيق، وآخرون. (د.ت) .الموسوعة العربية الميسرة .بيروت: دار نهضة لبنان للطباعة والنشر.
15. كعدان، صباح ممدوح. (س.ن.) .تاريخ آسيا الحديث والمعاصر (الجزء الأول، ص. 107). (مكان النشر: دار النشر).
16. مال الله، مشتاق. (س.ن.). ص. 159) .بانتظار استكمال بيانات المرجع لتوثيق.
17. المقرحي، ميلاد .(1997) .تاريخ آسيا الحديث والمعاصر: شرق آسيا، الصين، اليابان، كوريا .جامعة قانة يونس، بنغازي.
18. Albrecht-Carrie, R. (1970). A diplomatic history of Europe since the Congress of Vienna. London.
19. Dillon, M. (1979). Dictionary of Chinese history. Frank Cass and Company Limited.
20. Dillon, M. (1995). Dictionary of Chinese history. The Bourne Press.

Vol 13, Issue 44, May 2026
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

List of sources and references:

1. Anderson, M. (1996). The eighteenth century in Europe (N. Hatoum, Trans., 2nd ed.). Damascus.
2. Bain, C. A. (2002). The Far East (H. Al-Hout, Trans.). Cairo: Misr Publishing Library.
3. Jumaa, K., & Al-Saadi, W. (2012). Internal political developments in China 1931–1949 (Unpublished doctoral dissertation). Al-Mustansiriya University, College of Education.
4. Al-Khudairi, M. A. J. (2010). Reform and modernization attempts in China 1860–1911 (Unpublished master's thesis). University of Baghdad, College of Education – Ibn Rushd.
5. Darwish, F. (2014). The Chinese giant between past and present. Cairo: Jazirat Al-Ward Bookstore.
6. Ronovan, B. (1968). History of international relations 1815–1914 (J. Yahya, Trans.). Cairo: Al-Maaref Publishing.
7. Spencer, C. (1968). The Yangtze: The main road to the heart of China (M. Abdel Hadi, Trans.). Cairo.
8. Sultan, T. F. (2013). History of China and the ancient East. Beirut: Dar Al-Fikr.
9. Salman, M. T. (2010). A brief history of modern and contemporary Asia. Baghdad: Dar Al-Farahidi for Publishing and Distribution.
10. Al-Ani, N. A. H., et al. (2001). Modern and contemporary history of Asia. Baghdad.
11. Abd Al-Baqi, F. A., & Al-Saadi, K. W. (2023). The stance of foreign countries on the proclamation of the Taiping Rebellion 1850–1853. Ikleel Journal for Human Studies, (6), 369–370.
12. Al-Obaidi, N. K. M. (2006). The development of internal political conditions in China 1850–1911 (Unpublished doctoral dissertation). University of Baghdad, College of Education – Ibn Rushd.
13. Al-Obaidi, N. K. M. (2015). The Opium Wars: Pages from the history of foreign intervention in China 1839–1895. Baghdad.
14. Gharbal, M. S., et al. (n.d.). The simplified Arabic encyclopedia. Beirut: Dar Nahdat Lebanon for Printing and Publishing.
15. Kaadan, S. M. (n.d.). Modern and contemporary history of Asia (Vol. 1, p. 107). [Place of publication: Publisher].
16. Mallallah, M. (n.d.). p. 159. (Awaiting completion details for accurate citation.)
17. Al-Muqrahi, M. (1997). Modern and contemporary history of Asia: East Asia, China, Japan, Korea. Qanah Younis University, Benghazi.